العرب
الإثنين 2021/06/21
السنة 44 العدد 12096

«مستيقظ».. عدم النوم يتسبّب في نهاية العالم

إشعاع كهرومغناطيسي يضرب الأرض ويصيب سكانها بالأرق والسهاد

يطرح المخرج الكندي مارك راسو في فيلم الفانتازيا والخيال العلمي "مستيقظ" الصادر حديثا عن نتفليكس إشكالية حيوية تهدّد وجود الإنسان على سطح الأرض، من خلال إبعاد النوم عن سكان الكوكب، فهل سينتهي العالم فعليا بغياب النوم؟

سرد فانتازي يجمع بين الإنساني والاجتماعي

طاهر علوان
كاتب عراقي

على طريقة "ماذا لو؟" تلك التي يستخدمها أساتذة الفن من أجل شحذ خيال الطلبة، يمكننا أن نفترض الفرضية الخيالية نفسها والتي خلاصتها، ماذا لو هرب الناس عن الناس وعزّ النوم أو زالت قدرتهم على النوم وبقيت البشرية تعاني الأرق والسهاد؟

الفيلم يسرد واقعا بائسا ينذر بنهاية العالم، حيث ضرب إشعاع كهرومغناطيسي الأرض، فلا يتمكن أي إنسان من النوم

وإذا أخذنا بهذا الخيال الواسع، فإنه سوف يذهب بنا إلى كارثة أن الإنسان يموت بعد بضعة أيام من عدم النوم، وقبل ذلك سوف يمرّ بأطوار تشكّل القدرة على السيطرة والهلوسات والنزعات الفوضوية والعدوانية واحدة منها.

من هنا نبدأ مع فيلم "مستيقظ" المتميز موضوعا وإخراجا وتمثيلا للمخرج الكندي مارك راسو، وهو فيلمه الروائي الثالث بعد سلسلة أفلام قصيرة قام بإخراجها في مقابل إنتاج العديد من الأفلام، وحيث بدا واضحا نضج تجربته السينمائية.

ويرتكز الفيلم على شخصية امرأة تشكّل محور الأحداث وهي جيل (الممثلة غينا رودريغز) التي تعمل حارسة أمنية في إحدى المستشفيات، وتعيش وضعا عائليا مضطربا بسبب انفصالها عن زوجها وبقاء ابنها نواه (الممثل لوكيوس هويوس) وابنتها ماتيلدا (الممثلة آرينا غرينبلات) تحت رعاية جدتهما بقرار من المحكمة.

تكمل جيل مهمتها في تهريب الحبوب المخدرة والمنومة منتهية الصلاحية إلى إحدى العصابات، بينما تصطحب ابنيها إلى منزلها وعندها تكون الكارثة قد وقعت.

فقد ضرب إشعاع كهرومغناطيسي مكانا ما، وأدّى إلى انقطاع البث والاتصالات وخرجت السيارات عن السيطرة، لكن في المقابل هناك من يرمي التهمة كالمعتاد على ما يسمى "الإرهاب"، وما بين ضربة صينية وضربة إرهابية يعيش الناس في حالة من الهلع بسبب تفاقم عدم قدرتهم على النوم.

تتحوّل الطفلة ماتيلدا إلى عنصر أساسي في هذه الدراما الفيلمية لكونها هي وامرأة عجوز تستطيعان النوم بشكل طبيعي، وها هي الكنيسة ومراكز الأبحاث تتنافسان من أجل الحصول على ماتيلدا التي هي هبة إلهية من وجهة نظر الكنيسة وموضوع بحث علمي من وجهة نظر مركز الأبحاث، حيث تقع المذبحة الكبرى، وحيث تتمكن جيل من إنقاذ ابنتها وسط الرصاص والحرائق بعد دخول الجنود في حالة هستيريا وعدم القدرة على السيطرة بسبب عدم القدرة على النوم.

ولنعد إلى تلك الأم التي لا تريد سوى نجاة ولديها، وهي واقعيا تذكرنا بشخصية مالوري (الممثلة ساندرا بولاك) في فيلم "صندوق الطيور" المنتج في العام 2018، حيث هي معنية بإنقاذ أبنائها وسط عتمة حقيقية وحاملة لشتى أنواع المخاطر.

يزخر الفيلم بالمفاجآت وعناصر الحركة، فضلا عن خليط من الخيال العلمي والرعب وكل ذلك تنجح فيه الممثلة الرئيسية وحتى الطفلة ماتيلدا في نقلنا إلى تلك الأجواء الاستثنائية، ومن ذلك مثلا ذلك المشهد المؤثر عندما تسعى الأم لتدريب طفلتها على الدفاع عن نفسها في حال موتهم جميعا وبقائها على قيد الحياة، بينما الفتاة تكره السلاح وتقاوم استخدامه.

على أن التحوّلات الدرامية ما تلبث أن تتراكم تباعا عندما يصل الجميع إلى حافة النهاية، حيث السجناء شبه المخدرين والهستيريين يملأون الشوارع والاعتداءات العشوائية وإطلاق الرصاص في كل مكان بسبب الهلوسات وعدم القدرة على السيطرة على الفعل ورد الفعل.

براعة كاتب السيناريو مارك روسو الذي هو نفسه المخرج بالإضافة إلى جوزيف راسو حيث أنتجا سويا دراما عميقة ومعبّرة مأخوذة عن قصة للكاتب غريغوري بورير تم تقديمها إخراجيا من خلال مقاربة سار فيها السرد الفيلمي على مسارين، أحدهما عاطفي وإنساني ويتعلق بمكابدة الأم ومجازفتها بكل شيء من أجل إنقاذ أبنائها أولا مع أن فرص النجاة والعيش تتضاءل، وأما الخط الثاني فهو تلك الدراما الاجتماعية الهائلة الممثلة في انهيار بشري كامل بسبب غياب العقل والحواس والشعور بالخطر بسبب فقدان القدرة على النوم.

وربما يكون مشهد الصراع قد وصل إلى ذروته في تلك المواجهة في داخل الكنيسة التي تؤدّي إلى مقتل أحد العاملين في مركز الأبحاث الذي يريد الاحتفاظ بماتيلدا لإجراء تجارب النوم عليها، في مقابل احتفاظ الكنيسة بها عندما يتم قتل الباحث العلمي على محراب الكنيسة فيما يتم تهريب ماتيلدا من مكان إلى آخر.

ويمكن التوقف أيضا عند مقاربة درامية جريئة ومؤثرة ربما شكلت عنصر تحوّل في مسار الدراما الفيلمية، وذلك في بداية تفشي الظاهرة عندما يتسبّب التصادم في سقوط السيارة في النهر وفيها الأم وأبناؤها وإظهارهم وهم يكافحون من أجل إنقاذ أنفسهم، وواقعيا تشكّل هذه المشاهد بداية فاجعة في أغلب الأفلام، لكن المخرج عمد إلى مرحلة تطهير مسبقة أراحت المشاهد وجذبته إلى باقي أحداث الفيلم بعد نجاة الجميع واكتشاف سبب قدرة ماتيلدا على النوم في ما بعد، وهو كونها قد وصلت إلى مرحلة ما بين الحياة والموت وهو ما سوف تمر به الأم لكي تعيش.

وإذا جمعنا كل ذلك المسار السردي وتنوّع الشخصيات وكونها في حالة حركة مستمرة، فإن التنوّع المكاني والتنقل بين مستويات السرد، كل ذلك شكّل عناصر إضافية في هذه الدراما التي اكتمل فيها الأداء المتقن والشكل الفيلمي وجماليات الصورة وجاذبية الموضوع والمعالجة الفيلمية.

«كين».. مسرحية تقترح تأملا عميقا في كينونة الإنسان ومظهره

على خشبة "لوفر" بالعاصمة الفرنسية باريس تعرض الآن مسرحية "كين"، عن ممثل بارز كانت لندن كلها تهتف باسمه، ألا وهو إدموند كين. لكن نجاحه على الخشبة لا يعني أنه ناجح في حياته. وهذه المسرحية يلتقي فيها الكوميدي بالتراجيدي لتصوير هشاشة الممثل.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

من مفارقات هذا الوضع المأزوم أن كثيرا من المسارح الفرنسية عبّرت عن ابتهاجها برفع الحظر منذ العاشر من يونيو الجاري، في وقت كانت كلها في العادة تستعدّ لعطلة صيفية مريحة، تعود إثرها إلى برمجتها الجديدة في مطلع الخريف. ولكن إقبال الجمهور الذي حرم شهورا طويلة من العروض المسرحية أنساها هذا الهمّ، شأن فريق ألان ساكس في استئناف عرض مسرحية "كين" على خشبة "لوفر" بالعاصمة الفرنسية باريس.

ولدت مسرحية "كين" من التقاء عدة أعلام. أولا، إدموند كين (1787 – 1833)، الممثل اللندني الذي كان نجم المسرح الملكي بدروني لين في مطلع القرن التاسع عشر، وتوفي على الخشبة وهو يؤدّي دور عطيل، وكان غُلوّه ذائع الصيت، في المسرح وخارجه، قد دفع ألكسندر دوما الأب إلى استلهام سيرته في مسرحية تحمل اسمه، وكان قد ألفها لفريديريك لومتير، أحد عمالقة المسرح في ذلك الوقت، فأخرجها وعرضت في مسرح المنوعات عام 1936.

ولما علم بها سارتر عن طريق نجم المسرح والسينما بيير براسّور تحمّس لإعادة كتابتها، لأن فكرة ممثل يؤدّي دورا ذاتيا إلى جانب دوره في المسرحية أعجبته، حيث رأى فيها مسرحا داخل المسرح.

بعد ذلك أخرجها جان كلود دْرُوُو عام 1982 لمسرح أتيني، وقام بدور البطولة فيها لوي جوفي، ثم تلاه الممثل والمخرج الشهير روبير حسين، وتقمّص دور كين النجم السينمائي الفرنسي جان بول بلموندو في مسرح مارينيي عام 1987. أي أن ألان ساكس، الممثل والمخرج البارز الذي أقبل على إخراجها هذه المرة، وجد نفسه رغما عنه في وضع مقارنة مع كل الأعلام الذين سبقوه.

هذه المسرحية التي اقترن فيها اسم الكاتب بالممثل حيث يشار إليها دائما بـ"كين دوما"، أرادها صاحب "الفرسان الثلاثة" اعترافا بممثل بارز عاش حياة متقلبة، عرف المجد والبؤس في آخر أيامه، حتى فاض به القهر فقضى نحبه، وهو يؤدّي أحد أدواره الشهيرة.

أما سارتر فقد ركّز على مآسي وعي منفيّ عن ذاته، مجبَر على أن يكون غير ما هو في الواقع، ووعي الممثل هنا هو مثال جليّ عمّن تتفجّر هويته من دَور إلى دَور.

> **المسرحية تجمع الكوميديا بالتراجيديا لتصوير هشاشة ممثل عرف المجد والبؤس معا، حتى فاض به القهر فقضى نحبه**

فمن هو إدموند كين الذي يغري الكونتيسات الناضجات والبورجوازيات الفتيّات، سواء في صورة عطيل أم في صورة روميو، ويحوز إعجاب الأمراء وعامة الشعب معا، ويخلط حياته الخاصة وحياته الفنية على الخشبة في حمى الكواليس، ويملك الجرأة على السخرية جهارا من الأقوياء، وينشئ لنفسه مملكة وهمية ما فتئت تتآكل حتى هوت وهوى معها؟ هو كل ذلك.

ولئن كان سارتر غير راضٍ تماما عن عمله هذا، وكأنه يلوم نفسه على الاحتفاء بممثل تُجلّه الأرستقراطية، لاسيما أن الحرب الباردة كانت تقرّبه أكثر فأكثر من الشيوعية، فإن ألان ساكس تجاوز كل ذلك، وأبرز حرية الممثل الجنونية، مثلما أبرز شعوره بالوحدة والخواء الداخلي، بعد إسدال الستار، وانصراف الجمهور، وانطفاء الأضواء.

فعندما يسدل الستار، ويجد الممثل نفسه وحيدا في حجرته، نكتشف رجلا يطفح بالشكوك، مع إقبال مفرط على الخمر، فضلا عن مطاردة الدّائنين إيّاه. ولم يفلح رغم نجاحه وتألقه في أن يحوز مكانا في المجتمع، فالأمراء والسفراء والحسان يحومون من حوله، ويتقربون إليه، ولكنه يحسّ في قرارة نفسه، وحتى في سلوكهم بعيدا عن الخشبة، أنه لن يكون أبدا واحدا منهم، فما هو في نظرهم سوى المشعبذ التي يُسَرّون برؤيته، ويعجبون بأدائه على الخشبة حدّ الافتتان، ويسعدون بقضاء سهرة معه، وهم على يقين من أنه ليس منهم، ولا يمكن أن يكون من طبقتهم.

في شخصيته غالبا ما يتداخل الإنسان والممثل، حتى صار لا يعرف بالضبط من هو. هل هو ذلك الشخص المسجل في الحالة المدنية يروح ويجيء مثل سائر رعايا المملكة البريطانية، أم هو مزيج من مختلف الشخصيات التي يتقمّصها؟

وفي ليلة ضاق صدره بخيبات غرامية، ووضعية مالية متردية، وشعور بأن العمر يجري وهو يتوهّم أنه لا يزال قادرا على تقمّص دور الفتى روميو، لاسيما أنه، بخلاف بطل شكسبير، دميم الخلقة، فانفجر في وجه الجمهور كله صارخا فيهم "تأتون هنا كلّ مساء وترمون باقات الأزهار على الخشبة وأنتم تهتفون 'برافو!' حتى خِلت أنكم تحبوّنني.. ولكنّكم في الواقع لا تُحبوّن إلاّ ما هو زائف".

مسرحية "كين" تلخّص جوهر المسرح، وألكسندر دوما يكشف لنا عمّا وراء الديكور، حيث الكوميديا والتراجيديا، وحيث البحث عن المطلق والسلطة والعشق والجنون.. هي حكاية عن هشاشة ممثل يتمرّد ويتحدّى الجمهور. وقد جعلها دوما تحية إلى روح شكسبير، ومسرحا داخل المسرح سابقا بذلك بيراندللو، وهي إلى ذلك تقدّم للمتفرّج تنويعات عن الممثل ونداء حماسيا إلى كل أشكال المقاومة، وأنشودة صاخبة للحرية، تمزج الخيال الحامي والمتألق لدوما، والحداثة الجريئة لسارتر، وتقترح تأملا عميقا في الكينونة والمظهر.

مسرح داخل المسرح

الفن وظلاله

فاروق يوسف
كاتب عراقي

قدّم الفنان الأميركي أندي وارهول (1928 – 1987) صورة متناقضة ومربكة للفنان في عصرنا. فبقدر ما كان فنه شعبويا وعلى درجة عالية من الابتذال والتبسيط والسطحية والمباشرة، بقدر ما كان يمارس نوعا من التعالي استمدّه من كونه نجما اجتماعيا حشر نفسه بين صف موجهي الرأي العام الكبار في العالم.

كان يعتمد في فنه على تقنية يمكن أن يتعلمها أي إنسان بغض النظر عن مستوى موهبته ودرجة تعليمه. كان ينقل صورا ولم يكن يتخيلها. غير أنه كان يعتبر نفسه مخترعا لاتجاه في الرسم الغربي لم يسبقه إليه أحد. وهكذا أخذ النقاد ينظرون إليه بسبب طغيان شهرته ودعم كبرى المؤسسات الفنية له. لم يجرؤ أحد على أن يصنفه باعتباره مجرد هاو يقوم بنسخ الصور الفوتوغرافية.

لنتذكّر هنا صور إليزابيث تايلور ومارلين مونرو والزعيم الصيني ماو وإلفيس بريسلي. لم يكن هناك شيء خارق. صور نفّذت كما هي بتقنية الطباعة الحريرية. غير أن تلك الصور حين ذيلها وارهول بتوقيعه صارت المتاحف العالمية تتسابق من أجل اقتنائها، وحين يحصل مزاد فني على واحدة منها فإنها كانت تُباع بمبلغ خيالي.

هل صنع وارهول بتعاليه أسطورته التي لا يمكن أن تُخترق؟ شيء من هذا القبيل لا يمكن القبول به. لولا أن ذلك حدث في الولايات المتحدة، بلد الحقائق والأكاذيب الكبيرة معا.

الولايات المتحدة التي وهبت العالم فنانين كبار من نوع روشنبرغ وجاسبر جونز وروثكو وجاكسون بولوك ووليام دي كونغ وآرشيل غوركي يمكنها في الوقت نفسه أن تضع فنانا متواضع الموهبة مغرورا من نوع وارهول بين فنانيها الذين تُفاخر بهم. بل إنها صدّرت فن وارهول أكثر من أن تصدّر فن أي من فنانيها الكبار واعتبرته بضاعتها التي لا يمكنها أن تتنازل عنها.

وإذا أردنا الحق فإن فن وارهول يشبه إلى حد كبير الولايات المتحدة في جانبها السطحي، العدواني المبتذل والخاوي من أية قيمة إنسانية عليا.

قلّد الكثيرون عبر العالم وارهول تقنية وسلوكا غير أنهم فشلوا في الحصول على جزء ممّا حصل عليه من المال والشهرة. تبيّن لهم بعد أن فات الوقت أن الشهرة أحيانا لا تتعلّق بحجم الموهبة وقوة الخيال بقدر ما تعتمد على خطط المؤسسة الفنية التي قد لا تفكر إلاّ بجني المال.

فن أندي وارهول يشبه الولايات المتحدة في جانبها السطحي المبتذل